الفصل السابع والخمسين
ذكر النباتات المأكولة فى أرض مصر

ـ الموز:

شجر عجيب، إذا قلت إنه شجر فليس بشجر، لكن طوله كطول الشجر، يطول فى كل عام بمقدار قامة شخصين، وجذعه فى غلظ الرجل، وداخله مملوء بالماء، وهو يطرد ماء الاستسقاء على نحو ما قيل عنه. وأوراقه فى حجم اللحف والبسط وتشبه الأعلام الخضر وبين أوراقه إلى ذروته عناقيد الموز، وفى كل عنقود ما يقرب من مائتى ثمرة منضدة بعضها فوق بعض وعندما ينضج يصبح وكأنه قطعة من الماس وعندئذ يقطف للأكل ويكون الموز أخضر فى بداية نموه. وعلى الرغم من أنه قريب الشبه من الباذنجان إلا أن ليس به بذور، بل إن ثمرته ممتلئة بالمعجون وهو مقو، وقشرته تسلخ من أعلى، وإذا ما أكل مع السكر كان أكثر لذة فى طعمه. وإذا ما تناول منه الإنسان خمس ثمرات أصبح فى غنى عن أكل اللحم وهو مشبع سهل الهضم، وثمرته غنية بمنافعها فهى تقوى البدن وتزيد من المنى وتقوى الإبصار.

ويقال إنها خلقت كرامة لسيدنا أويس[1] رضى الله عنه فعندما استشهد السِّنَّة الشريفة للرسول ﷺ فى غزوة أحد، وتناهى إلى سمع أويس ذلك الخبر قام بخلع أسنانه الاثنين والثلاثين محبة فى رسول الله ﷺ وهو يقول: أهذه السِّنَّة التى استشهدت أم تلك وعندما طرح أسنانه على الأرض نبتت هذه الأسنان موزا بقدرة الله تعالى وانتشر الموز من اليمن إلى سائر البُلْدَانِ الأُخْرَى.

---

(١) هو أويس القرنى خير التابعين كان برًّا بأمه، مؤثرا للعزلة وخمول الذكر يستخفى من الناس حتى لا يعرفوا حاله مع الله وكان ـ رحمه الله ـ مجاب الدعوة، أمر النبى ﷺ ـ عمر ـ رضى الله عنه ـ إذا لقيه أن يستغفر له، فلما لقيه عمر فى خلافته ذكر له ما كان من قوله صلى الله عليه وسلم فاستغفر له. والخبر فى صحيح مسلم، كتاب الفضائل(١٠١) باب من فضائل أويس القرنى رضى الله عنه. والحكاية الواردة هنا عن أويس وإن لم تكن مستبعدة فى حق من يأخذه الحزن لفقد عزيز؛ فقد حلقت الخنساء شعرها حزنًا وكمدًا على أخيها، فما بالنا والأمر متعلق بالحبيب ﷺ إلا أن هذا قد يكون من قبيل كلام القصاص؛ فإنه لم يلق النبى ﷺ، وهو فى عداد التابعين ولم يدرك أحدًا.

هذا ما رواه علماء اليمن وأجمعوا عليه.

إلا أن شجرة الموز تنبت من الأرض كقصب السكر وتثمر مرة واحدة ثم تقطع، هكذا خلقت. وتكثر أشجار الموز فى بيروت، تحتكرها الحكومة ولها ناظر خاص، كما أنه يكثر فى دمياط والقاهرة.

- الخيار:

يزرع بكثرة ولكن تمس الحاجة إلى استيراد بذوره من الشام كل عام، لأن بذور الخيار التى نمت فى مصر السنة الماضية أثمرت عجورا، ولذلك تستورد بذور الخيار من الشام فى كل عام.

- العَجّور:

يشبه الخيار كذلك ولكن ثمرته عوجاء.

- القثاء:

وهى كذلك أحد أنواع الخيار، وهى مرطبة، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم.

- البطيخ الأصفر:

أى الشمام، هناك سبعة أنواع منه فى مصر وهو يزرع ويحصد ثلاث مرات فى العام، وهناك الشمام الأخضر والذى كان فى بدايته يسمونه «دومىرى»، وهو مستدير ولذيذ الطعم وثمة نوع آخر يسمى «الشلابة» يزرع فى أراضى الخانكة وهو لذيذ الطعم غاية فى امتلائه بالماء.

- البطيخ:

يزرع بكثرة فى جميع المدن، إلا أنه صغير الحجم، ولكن بطيخ البرلس كبير وقشرته رقيقة وداخله نسيج أحمر ياقوتى ممتلئ بالماء.

- البطيخ الأزرق:

وهو كذلك أحد أنواع البطيخ، إلا أنه فارغ الداخل ويطرحونه فى البرية فى بلاد الترك غير أنه يباع بدينار ذهبى فى بعض أحياء مصر، إذ إن جو مصر يجعله يهب الحياة إذا ما أصابت إنسان حمى محرقة وشرب فنجانين من ماء هذا البطيخ الأزرق أصبح

جسمه كأنه قطعة من ثلج، يا لها من حكمة عجيبة. وفى تذكرة داود ذكر لفوائده التى يعجز الوصف عنها، ولا وجود لهذا البطيخ إلا فى مصر.

ـ البطيخ (عبد اللاوى):

وما يعرف بعبد اللاوى يشبه الشمام فى طعمه. إنه شيء عجيب عندما يستدير ينقسم رأسه إلى جزئين أو ثلاثة ويصبح كل جزء منها كأنه ثعبان أرقط، وفيه بذور تشبه بذور الشمام، إلا أن طعمه يميل إلى الحموضة قليلاً وطبيعته مرطبة وهو مدر للبول وبما أن له هيئة الثعبان يأكله الإنسان متكرها.

وقد جاء فى كتب الطب إنه خلق بفضل معجزة الرسول ﷺ والسبب هو:

حكاية

يحكى أن كفار قريش ذَهِلُوا عند ظهور النبى صلى الله عليه وسلم فبالغوا فى مهانته إلا أنهم عجزوا عن الانتقام منه، فلجأوا إلى الحيلة والمكيدة فأحضروا صندوقا فيه عقارب «كاشان» من بلاد الفرس وهى عقارب تنفذ إبرتها فى الحجر، والعقرب الكاشانى فى أيامنا تلك له واسع الشهرة فى شتى أنحاء الدنيا.

ثم أحضر ملاعين قريش هذا الصندوق وبعض الهدايا إلى الرسول ﷺ حتى تلدغه العقارب عند فتحه للصندوق. فقال ﷺ: ما هداياكم تلك. فقالوا: يا محمد إن هدايانا نوع من الشمام ظهر حديثًا لا علم لنا باسمه.

فقال الرسول ﷺ: سموه «عبد اللاوى» فقد كان ﷺ يحب الشمام كثيرا، وهم الرسول ﷺ بفتح الصندوق أمام رهط قريش ذاكرا اسم الله تعالى فأصبحت العقارب الموجودة فى الصندوق «عبد اللاوى» فأكل منها ﷺ قائلا: بسم الله ووزع منها على صحابته ورأى كفار قريش هذا فآمن منهم سبعون فى التو، أما بقيتهم فقالوا: يا محمد إنك لساحر. ومضوا وبقوا على ضلالتهم. ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧].

وتلك هى معجزة «عبد اللاوى» وهذا هو السبب فى أنه على هيئة الأفعى والعقرب. ولا وجود له إلا فى مصر.

ـ العجور الأخضر:

وهو كذلك مثل عبد اللاوى إلا أنه أخضر وأشكاله معوجة مثله كذلك، وفيه بذور، وطبيعته مرطبة، وطعمه لا يشبهه طعام آخر. يسمى فى بلاد الترك «القرع المصرى» ويسمى فى مصر «القرع التركى». إنه قرع مستدير ينتشر بين فقرائنا، ومنه قرع الماء والقرع الأفرنجى وقرع الألواح وهى كثيرة.

ـ حب اللذيذ[1]:

ينمو على ضفاف النيل وهو يشبه الحمص ويميل لونه إلى الصفرة وهو بقل لذيذ ومقو.

ـ قصب السكر:

يزرع بكميات ضخمة فى جميع القرى وهو محصول عظيم.

ـ القلقاس:

نبات أسود يشبه فجل بروسه يأكله الفقراء وطعمه لذيذ مثل «أبى فروة»[2].

ـ القنابيط:

يشبه الكرنب، لكن له أزهار صفر.

ـ التين الأفرنجى (الشوكى):

أشجاره خضراء والواحدة منها طول رجلين وهى تشبه الكف يلتصق بعضها ببعضها وأوراقها سميكة كالكف وعلى أطراف أوراقها الخضر تنمو عشرات من ثمار التين ومنه الأصفر والأحمر وتكون مغطاة بالأشواك. ويستخدم دواء كالتين، إلا أن طعمه لا يشبه طعم الفاكهة وهو مقو للغاية.

ـ لوز النبى:

شجر قصير كشجر السمر وفى كل شجرة لوزتان أو ثلاث، وهو يشبه اللوز فى طعمه. وقد خلق هذا النبات كرامة للرسول ﷺ عندما قدم إلى الشام للتجارة، وهو يكثر فى أرض مصر. إنه مقو ولذيذ.

(١) يقال له حب العزيز.

(٢) أى الكستناء.

ـ الملوخية:

عشب أخضر يشبه النعناع، يطهى كالسبانخ، يسميها بعض الظرفاء «ملوكية» لشدة حبهم لها أى أنها طعام الملوك. إنها سريعة الهضم مقوية وهى طعام الزنوج وهى مفيدة للطواشية.

ـ البامية :

نبات فى حجم رصاصة البندقية، وجلد ثمرتها شائك ولكن إذا طبخت زالت أشواكها. عندما تطهى مع اللحم ويضاف إليها عصير الليمون كانت طعامًا عظيم الفائدة. وبداخل ثمرتها بذور تشبه بذور العدس، والبعض يطبخها بالثوم والماست، إنها طعام عجيب لذيذ.

ـ الثوم:

نبات ضار وسم زعاف، لذا لا يقبل عليه الناس والكل يستخدم الثوم التركى ولا وجود لشىء أرخص من البصل والملح.

ـ الكتان:

يزرع بكثرة، إلا أن أجود أنواعه التى تزرع فى الفيوم والنهارية، وتباع الكرة من خيطه بخمس عشرة پاره. إلا أن قماشه لا يتحمل، ويلبس قميص الكتان شهرين فقط.

ـ النيلة:

عشب لونه بين الزرقة والخضرة، عندما يكتمل نموه يطهى فى أوان كبيرة، ثم يدق بالمطارق الخشبية فينضح ماؤه فيؤخذ ماؤه ثم يوضع على النار حتى يغلى وترسب زبدته فى قاع الإناء ثم يحول إلى أقراص ويباع لبائعى الأصباغ. وتباع الأوقية منه بأربعة قروش، ويقال إن هذا العشب لا وجود له فى بلاد الهند.

ـ البرسيم:

عشب ينبت فى اليوم التالى من زراعته بمقدار شبر، وهو مرعى جميع المواشى ولولاه لما كان فى مصر مرعى.

ـ القصب الريحانى:

قصب طويل، رقيق فيه عقد، يصنع منه غليون التبغ.

ـ الحصير المصرى:

وهو من شتى الألوان، ويصنع منه حصير الفيوم والبحيرة وتباع الواحدة بأربعين قرشا أو أكثر، وهذا الحصير لا وجود له إلا فى مصر وحدها دون غيرها من البلاد، وبعض الصناع المهرة يصنعون حصيرا وكأنه سحر معجز.

ـ الترمس:

نبات مستدير مفلطح يشبه الفول، ينقع فى الماء المملح ويؤكل، والبعض يطبخه والبعض يطحنه ويصنع منه دقيقا يمسحون يديهم به بعد الفراغ من تناول الطعام ويغسلونها بالماء فهو يزيل الزهمة من اليد. وتستعمله جميع عائلات مصر بديلا عن الصابون فى غسل أيديهم بعد الطعام فهو ذو رائحة زكية. وبعض السمان يدخلون إلى الحمام ويمسحون جسمهم كله بهذا الترمس فيزيل ما علق بأجسامهم من أوساخ ويجعل أجسامهم ناعمة وكأنها الفالوذج، ولذا فإن جميع حسان مصر يمسحن أجسامهن به فى الحمام إلا أنه ليس من أدوات الاغتسال.

ـ الغاسول:

أحد أنواع الصابون وهو نبات ينمو على ضفاف ترعة «الناصرية» المؤدية إلى الإسكندرية، يكوم هذا النبات تلالاً تلالاً فى مكان واحد وتضرم فيه النار فيتحصل من ذلك رماد يصنع منه الزجاج بمشيئة الله.

وقد لا يحرق فى النار ويسحق فى هواوين، ثم يخلط بالطين ويشكل على هيئة أقراص تغسل بها الملابس فتبدو لها رغوة كالصابون تنظف الملابس وتجعلها ناصعة البياض، إلا أنه لا يصلح لغسيل العمائم والقمصان الرقيقة.

والسر العجيب أنه عشب يحرق فى النار فيصير زجاجًا ويخلط العشب بالتراب فيصبح صابونًا. إنه ما يعرف «بالغاسول» يفعل الله ما يشاء.

ـ الحِلبة:

حبة مثل حبة العدس، توضع فى صرر من البَز وتنقع فى الماء فتنمو كأنها شعر العرب وتصبح بيض الأفنان يأكلها الصبيان، كما يصنعون منها حساء. وطعمها لذيذ للغاية.

وفى مصر القمح والشعير والفول والحمص والعدس والقطن والأرز والسمسم أكثر منه فى البلاد الأخرى وأرز مصر ألذ من أرز الهند، وروان وبيلان وحبته أكبر، ويقال إن أرز المنزلة وفراسكور لا نظير لمثله على وجه الأرض وليس فيه حصى، وأجود أنواع الأرز فى مصر هو الأرز السلطانى الأبيض.

ـ النطرون:

شىء يشبه الملح، لندرة الحطب فى مصر يضعون هذا النطرون إلى الطعام فينضج اللحم وغيره فى طرفة العين، إلا أن أعيان مصر لا يقبلونه، وعلى الرغم من أنه ينضج الطعام بسرعة إلا أنه يسبب تورم الخصية لمن يستعمله فيمشى يتبختر وكأنه صاحب الدولة، ولذا فأغلب أهل مصر مصابون بتورم الخصية ويسميهم الظرفاء أصحاب الدولة، وأثناء الكلام إذا قلت لأحد المصريين «بخ بخ يا صاحب الدولة» دخله شديد الغضب لأن ذلك يعنى ـ بأسلوب مهذب ـ أنه متورم الخصية.

ثمة ثلاثة أديرة للقبط تقع على صخور قائمة فى الجانب الغربى من كشوفية طَرَّانَة بالبحيرة، أمام تلك الأديرة الثلاثة بحيرة عظيمة يأتى كل النطرون منها محملا على الجمال، وهو الآن تحتكره الحكومة. وقد بقى هذا النطرون من أموال قارون على وجه الأرض. والنطرون شىء عجيب، وإذا سقط الفرس أو البغل أو أى شىء آخر فيه ابتلعه النطرون، ولا وجود له إلا فى مصر دون غيرها من البلاد، ويصدر منها إلى جميع أنحاء العالم، ويستخدم فى بلاد الترك فى مصانع الزجاجات فهو يصهر الزجاج فيجعله كالماء.

وفى مصر تلد الشاة ثلاث مرات فى العام، ولا تقل الخضروات فيها قط فى صيف أو شتاء.

ذكر الأشربة المصرية

ـ السوبيا:

أى بوزة الأرز التى سبق وصفها فيما تقدم.

ـ المارة:

بوزة تصنع من القمح إلا أنها مشروب لعين مسكر للغاية.

ـ البوريس:

شراب يصنع من الزبيب الأسود يضاف إليه السكر والتوابل.

وعرق التمر وماء العسل ليسا كمثلهما فى بلاد الترك، وهما مسكران للغاية لعنهما الله.

ـ خمر البانجو:

ينقع الحشيش مع العسل التركى ويتخمر ليلة ويصفى فى الصباح بمنخل فيصبح خمرا خضراء اللون من شربها لم يميز رأسه من قدمه.

ـ ماء الأسرار:

خليط من الحشيش مع حلوى خليل الرحمن، ينقع فى ماء الورد يومين فيصبح براقا ويخرج منه غثاؤه ويباع فى كؤوس فى ميدان الروملى، ومن شرب منه كأسا أفشى ما فى طويته من أسرار.

ـ عصير العرقسوس:

تستورد جذوره من بلاد الترك وتسحق فى هواوين وتنقع فى الماء ليلة ثم تصفى فى مخلاة خيل جديدة فتقطر قطرات حمراء صافية تشرب. إنه مشروب غير مُسْكِر.

وقد ذكر داود فى تذكرته سبعين فائدة له ومن أعظم فوائده أنه يطهر المثانة ويدر البول، كما أنه طارد للبلغم، فالبلغم فى جسم أهل مصر كثير كماء النيل، كما أنه خافض لدرجة حرارة الجسم ويقول داود فى تذكرته كذلك: إنه لولا شرب المصريين

للعرقسوس لأصابهم الجذام من شدة الحر، فالمصريون جميعا يشربون العرقسوس فى الغدو والآصال.

فى الواقع أنه مشروب عظيم الفائدة حقا.

ـ عصير التمر هندى:

إنه كذلك مشروب لا وجود له إلا بمصر لا وجود له فى غيرها، وهو غير مسكر إلا أنه منشط للكبد ومدر للصفراء وطعمه يميل إلى الحموضة.

والأشربة فى مصر كثيرة، أما ما ذكرناه منها فهو مبلغ علمنا بأنواعها.

***